كيف اختفى شِعر المراسلات

الشعر من وسيط دبلوماسي إلى حالة فردية

يزخر الأدب الشعري العُماني بروائع متنوّعة، وقد اتّخذه أدباء وعلماء وفقهاء عُمان وسيلة تواصل منذ أمد بعيد، فقد لا تكاد تخلو مراسلاًت علمية فقهية إلا وكانت بأسلوب شعري نُظّم بأسلوب مُحكم ومُتقن في الوقت ذاته؛ لكن الشعر تراجع كثيرا كأداة تواصل، وهناك من يتهم الشعر نفسه بقصوره.

الشعر لم يعد أداة تواصل وفقه (لوحة للفنان أنور سونيا)

مسقط – لم تخرج المراسلات الفقهية والعلمية بين علماء وأدباء عُمان منذ القدم من المنظومة الشعرية، إلا أنّه في العهد القريب نستطيع القول إنّ تلك المنظومة الشعرية اختفت وبشكل كبير وقد تكون لأسباب فنّيّة متعلّقة بالشعر ذاته.

وهنا نطرح عددًا من التساؤلات في هذا الشأن أولها: إلى ماذا يعود اختفاء هذا النوع من الشعر؟ وهل ثمة علاقة بين هذا الاختفاء واتجاه الشعراء لممارسة نمط الشعر الحديث بما في ذلك التفعيلة والنثر؟

تطور الشعر

يقول الشاعر هلال بن محمود البريدي في هذا السياق "شيوع فن المراسلات الفقهية الشعرية عند العُمانيين منذ القديم يدل دلالة قاطعة على المكانة التي تبوأها الفقهاء في عُمان سياسيًا واجتماعيًا، إذ هم أساس ما يُعرف بأهل الحل والعقد، وكانت للفقهاء العُمانيين منزلة كبيرة مهمّة في المنظومة السياسية والاجتماعية والأدبية. وقد أثرت بعض المعايير الفقهية والدينية في نظرتهم الفنية إلى جودة الشعر أو رداءته؛ فالشعراء هم أنفسهم إما فقهاء، أو نشأوا في أسرة فقهية، وقلّما نجد عند العُمانيين قديمًا شاعرًا يخرج من هذا النطاق، بخلاف الحال عند بقية العرب، فالأخطل والفرزدق وجرير وبشار بن برد وأبونواس كانوا شعراء بالدرجة الأولى، ولم يعيروا الفقه والمعايير الدينية الشائعة عند فقهاء زمانهم الاعتبار الذي أولاه الشعراء العُمانيون".

ولذا فمن الطبيعي، وفق رأي البريدي، أن نجد مزاوجة بين الفقه والشعر، فنشأت المطارحات الفقهية بمسحة أدبية شعرية عادة ما تنقسم لقسمين، المقدمة: وهي التي نجد فيها حضورًا أقوى للعناصر الفنية الأدبية، لاسيما اللغة والعاطفة والخيال، هذه المقدمات تميل أحيانًا إلى غرض الإخوانيات أو المدح، أو الغزل والنسيب. والقسم الثاني: السؤال الفقهي، أو الجواب الفقهي، وحينها فنحن بإزاء نظم لا شعر، إذ لا نكاد نعثر هنا على العاطفة والصورة الشعرية، بل بحث علمي فقهي بوزن وقافية، وليس بالضرورة أن يكون هذا الفن سؤالاً أو جوابًا فقهيًا، فقد يؤلّف الشاعر قصيدة تزاوج بين المقدمة الشعرية والمنظومة الفقهية في القصيدة الواحدة، كما هو الحال عند ابن النظر، أعلم الشعراء، وأشعر العلماء.

أما في العصر الحديث فيلفت الشاعر إلى أن هذه الظاهرة الفريدة التي زاوجت بين الفقه والشعر بدأت تخفُت فلم يعد للفقهاء ذلك الحضور القوي سياسيًا واجتماعيًا، وضعفت المعايير الفقهية والدينية أو كادت تختفي تمامًا في النظر إلى جودة الشعر أو رداءته، كما كان للحداثة تأثيرها في جلب الكثير من الاتجاهات النقدية والمدارس الشعرية الحديثة التي أثرت في مسيرة الشعر العُماني المعاصر.

الشاعرة شميسة النعماني لها رؤية خاصة في اختفاء شعر المراسلات، وما إذا كان ثمة علاقة بين هذا الاختفاء واتجاه الشعراء لممارسة نمط الشعر الحديث، وهنا توضح بقولها "أحد أهم مظاهر الحياة هو التغيُّر والتبدُّل ضمن سيرورة الزمن، فلا تدوم الأشياء على ما كانت عليه، والشعر أو النُظم الفقهي عبر أسلوب المراسلات إحدى القضايا التي ترك الزمن بها أثرًا واضحًا، وهو دفعُها نحو الضمور وربما التلاشي، والأسباب خلف ذلك كثيرة، أهمها انقضاء الحاجة إلى المراسلة بالطريقة التقليدية في أي مسألة كانت، ولعل تلك الطريقة من التراسل أورثت معها أن يكون الحوار الفقهي وفق الشعر أو النظم".

وتتابع "أما وقد تبدّلت وسائل التواصل وأضحت أكثر سهولة فإنّه لم يعُد ثمة تقليد يتم اتّباعه بأن تكون المراسلة بنسق شعريّ، إضافة إلى أنّ وتيرة الحياة ذاتها ازدادت سرعة وازدحمت بالكثير من المشتتات، وتحويل المسألة الفقهية إلى أسلوب شعري أمر يقتضي امتلاك وقت كاف لذلك، بينما أنْ تذهب المسألة بجملة نثرية وفي وسيلة حديثة أنسب للفقهي نفسه من أن ينفق وقته في تأليفها شعرًا أو نظمًا، لاسيما في زمن لم يعُد هذا الأسلوب فيه شائعًا ولم يَعُد ميزة كالسابق".

وفي الإطار ذاته تُضيف النعماني "من الأسباب أيضًا أنّ الشعر ذاته تطوَّر ونما ولم يعُد مقتصرًا على المدرسة العمودية، ولم يعُد يطرح القضايا بالأسلوب التقليدي الذي ظل قرونًا مُحكمًا قبضته على الشعر، فظهرت المدارس الكتابية الأخرى مثل التفعيلة التي أشاعت معها مواضيع جديدة وأنماطا كتابية مختلفة وأسسا تعبيرية وبنائية متجددة، بل وأسلوبا نقديا مبنيا على معايير إما إضافية أو جديدة كليًا".

> الشعر ذاته تطوّر ونما ولم يعد مقتصرا على المدرسة العمودية، ولم يعد يطرح القضايا بالأسلوب التقليدي

ووفقًا لما سبق تقر الشاعرة أن اختفاء هذا النوع من الشعر/ النظم ليس أمرًا صادمًا وإنما استجابة لتطوُّرات الحياة وتجدد الزمن.

وتقول "للشاعر فهد بن سيف المنذري حديث يفسّر اختفاء شعر المراسلات، ويبيّن أيضًا ما إذا ثمة علاقة بين هذا الاختفاء واتجاه الشعراء لممارسة نمط الشعر الحديث بما في ذلك التفعيلة والنثر، ويؤكد بقوله 'هذا النمط الشعري يُعرف بالنظم التعليمي، والفقه في إطار الأدب، وشعر الأسئلة والجوابات، وقد ازدهر في حقبة كانت تتسم بخصوصية العلاقة بين الشيخ ومريديه من الطلبة، حيث كان الواسطة الثقافية الأبرز إن لم تكُن الأوحد في الساحة حينها، قبل أن تتأثر القرائح برياح التغيير القادمة من حواضر الثقافة العربية، أو بالتيارات الحداثية ومدارسها الأدبية المختلفة".

الوسيط الدبلوماسي

للشاعرة والكاتبة بدرية البدري قول أكثر وضوحًا في شأن اختفاء شعر المراسلات، وما إذا ثمة علاقة بين هذا الاختفاء واتجاه الشعراء لممارسة نمط الشعر الحديث بما في ذلك التفعيلة والنثر، فبرأيها المراسلات الشعرية لم تختف، ولكنها لم تعُد تُكتب ورقيًا، وهذا سِر عدم انتشارها؛ فالمراسلات سابقًا كانت ورقية؛ لذلك تظل محفوظة، مما يتيح نشرها سواء في حياة الشاعر أو بعد رحيله، وغالبًا يتم نشر هذه المراسلات من قِبل المهتمين بهذا الإرث، وليس من قِبل الشعراء أنفسهم، أما الآن فأغلب المراسلات تتم عبر وسائل التواصل الاجتماعي المعروفة لدينا.

وتُضيف البدري "نحن في زمن متسارع، وهذا التسارع الزمني لا يسبب فقدان المراسلات الشعرية فحسب، بل الكثير من الكتابات التي ننشرها في مواقع التواصل الاجتماعي ثم ننساها، وكأنها لم تكُن، فالمشكلة ليست في الكتابة بحد ذاتها، بل في التوثيق، لذلك لا تستغرب إنْ وَجَدَ ورثتنا الكثير من القصائد المبتورة، وتلك التي لم يُكتب لها الاكتمال، أو حتى لم يجدوا لنا إرثًا؛ لأنّ إرثنا مُخبأ خلف رقم سري. أما في ما يخص التطوُّرات التي جرت في الشعر، بما في ذلك شعر التفعيلة والنثر، فلا أظن بأنّ لها دورا في الأمر، إذ يمكن التطوير في المراسلات، أو السجالات الشعرية حتى في هذا النوع من الشعر".

وللشاعر إبراهيم السوطي رأي حول اختفاء شعر المراسلات، وما إذا ثمة علاقة بين هذا الاختفاء واتجاه الشعراء لممارسة نمط الشعر الحديث بما في ذلك التفعيلة والنثر، باعتباره صاحب تجربة في هذا النوع من الشعر، حيث يُشير إلى أنّ تجربته في شعر المراسلات لم تكن عميقة بحسب تقديره، بقدر ما كانت محاولات متعددة لم تتجاوز حدود الدردشات السريعة حيث كانت مكوَّنة عادة من بيتين أو ثلاثة على وسائل التواصل الاجتماعي، مُستثنيًا منها "رسالة شعرية ورقية تضمّنت سؤالين فقهيين بعثتها من مسقط إلى الشيخ الشاعر علي بن محسن السوطي -رحمة الله عليه- في ولاية دماء والطائيين بقرية سوط، ولم أحتفظ بهذه التجربة ولم أعُد أتذكّر شيئًا من تلك الرسالة الشعرية غير أنني تفاجأت بوجودها في ديوان الشيخ الجزء الأول".

ويقول السوطي أيضًا "لقد اعتدنا منذ القِدم على المراسلات الشعرية أنْ تكون بين سائل وعالم أو شيخ مسؤول، أو بين شيخين ولا أستبعد سوى ذلك ولكن لا أظنه بذات القدر، وهي التي كانت تُسام بالمساجلات الشعرية والتي في ظني من النادر أن ترقى لتُسمّى شعرًا بخلاف تلك التي قد تحدث بين شاعرين يتسامران متساجلَيْن أو كالذي يتم أثناء ممارسات الفنون الشعبية كالرزحة وغيرها، وهذا ما شهدناه كثيرًا وما زال حاضرًا ولكنه أيضًا لا يكون بذات الشكل السابق".

ويضيف "هذا في ظني يرجع إلى أسباب عديدة، منها ربما فَقْدَ الشعر مكانته كوسيط دبلوماسي بعد أن كان جليس الأمراء ولسان العرب في ما بينهم وحتى أنه فارسٌ أهمية حضوره شاعرًا كأهمية حضوره محاربًا فلم يعُد الشعر طريقة التخاطب المرغوب فيها، فبعد تطوُّر الشعر وظهور قصيدة التفعيلة وقصيدة النثر أعتقد أن الشعر في نظر الجمهور من الناس أصبح ذلك الرجل الذي كبُر وشاخ ولم يعُد يعيش في زمانه وهو الآن في انتظار موته، بيد أنّه إذا مات الشعر فلا أظن أن المخاطبات بالرواية -وهي المتصدرة في الوقت الراهن- أو القصة القصيرة يمكن أن تحل محل الشعر".

كتاب عن قضايا الأدب والفنون والترجمة

الجزائر – يضمّ كتاب "قضايا ودراسات في الأدب والفنون والترجمة" مجموعة من الدراسات التي قدّمها باحثون وأساتذة جامعيون خلال أشغال الملتقى الافتراضي الدولي الأول الذي أقيم في شهر مايو 2021 تحت عنوان "العلوم الإنسانية والاجتماعية.. نحو رؤية جديدة في قراءة الماضي واستشراف المستقبل".

ونقرأ في الكتاب، الصادر عن دار قاضي للنشر والترجمة بالجزائر، عدة دراسات نقدية من بينها دراسة للباحثة العلجة حرايز بعنوان "الصّراع في مسرحية 'الدّالية' لعزالدين ميهوبي" أكّدت فيها أنّه لا مسرح بلا صراع، لأنّ الصراع هو أصل الفعل الدرامي والعمود الفقري للبناء الدرامي، لكونه يشحن الأحداث ويوجد التوتّر العاطفي الذي تُجسّده الشخصيات المسرحية التي تعارضُ إرادةُ كل واحدةٍ منها إرادة الشخصية الأخرى.

وفي دراسة أخرى، حاول الباحثان الحسين بخيرة وعيسى أحمد مقاربة المسرح السياسي العربي وتداعياته الثورية من خلال مسرحيّة "وادي الزنج" للكاتب المسرحي التونسي عزالدين المدني، مؤكدَين أنّ الظروف التي عايشها المسرح العربي منذ الحرب العالميّة الثانية هيأت لنموّ جذور المسرح السياسي العربي وتغلغله في الحياة الفنيّة العربية.

وقدّمت الأكاديمية نجاة تيرس دراسة بعنوان "بين مصطلح النقد النسوي والنسائي" من خلال بعض الرُّؤى العربية والغربية، خلصت فيها إلى أنّ هناك صعوبة في ضبط الفرق بين مفهومي "النسوي" و"النسائي"، وأنّ الاتفاق على مصطلح واحد ما زال لم يُفصل فيه من طرف النقّاد والأدباء، وحتى المرأة نفسها.

وخلصت دراسة أخرى بعنوان "جهود المستشرقين الألمان في البحث اللُغوي العربي" أعدتها نرجس بخوش إلى أنّ المدرسة الاستشراقية الألمانية أدّت دورًا مهمًا في مدّ جسور التواصل الحضاري بين العالم الإسلامي وأوروبا، وقدّمت إسهامات كثيرة في مجال الدراسات اللُغويّة، وكان لها الفضل في نشر الكثير من المخطوطات وتحقيقها، وطباعة كتب التراث اللُغويّة، وترجمة القرآن الكريم.

وفي الشأن الفنّي، تضمّن الكتاب مجموعة من الدراسات أبرزُها "الفكاهة في الخطاب الفنّي بين المفارقة والتّأمُّل النقدي.. الكاريكاتير نموذجًا" للناقدة عواطف منصور، انتهت فيها إلى أنّ الفكاهة في الفن أسلوبٌ من أساليب التعبير، وقد رأى فيها الفنان منهجًا مثاليًا للتعبير عمّا في نفسه، وأن الفكاهة لم تعد تخصُّ الأدب والشعر والموسيقى، بل تحوّلت مع الفنّ إلى أسلوب إبداعيٍّ يجمع الفكر والإبداع، والجدّ والهزل، والطرافة والنقد.

وقدّمت دراسة أخرى بعنوان "قراءة في أسلوب الفنان الجزائري حسين زياني" للباحثة نادية قجال قراءة فاحصة في أسلوب هذا الفنان التشكيلي بالاعتماد على تفعيل الكفاءات العلمية بما يليق بمستوى عطائه الفنّي، ويُعرّف بسيرته ومبادئه وقناعاته، خاصّة أنّ الكثير من النقّاد أجمعوا على أن زياني حقّق حضورًا عالميًا بأسلوبه الذي تمتزج فيه الواقعيّة المفرطة بضرب من التجريد.

«سالب واحد» مسرحية تلخص معاناة ذوي الهمم

الإسكندرية (مصر) – ضمن فعاليات مهرجان الحرية المسرحي في دورته السابعة، الذي ينظمه مركز الحرية للإبداع بالإسكندرية، كان الجمهور على موعد مساء الإثنين السادس من سبتمبر مع العرض المسرحي "سالب واحد" تأليف محمد عادل وإخراج عبدالله صابر.

وتدور أحداث عرض "سالب واحد" حول قضايا ذوي الاحتياجات الخاصة ومعاناتهم مع الآخرين في المجتمع وما يتعرضون له من صعوبات وتهكمات ممّن حولهم.

خطوات واثقة وثابتة تخطوها مسرحية "سالب واحد" يوما بعد يوم بفضل إصرار أبطالها من طلاب المعهد العالي للفنون المسرحية المصري على تناول قضايا المعاقين وذوي الهمم تناولا إنسانيا مثيرا للشجن في النفوس، ومحرضا على التفكير والتساؤلات في رحلة اليأس والمعاناة التي يعيشها صاحب القضية ووالداه، استنادا إلى فكرة رواية جون لوي فورنييه "أين نذهب يا أبي".

وتلاحق أحداث العرض رحلة زوج وزوجة وقعا تحت اختبار صعب حينما أنجبا بعد طول انتظار طفلا معاقا ذهنيا، وما يمران به معه من تفاصيل حياتية شديدة الألم، نتيجة الحاجز الذي بناه كلاهما بينهما وبين الابن وسيل المشاعر المتناقضة تجاهه. فالأم كانت تتمنى أن ترى ابنها أفضل ابن وأن تحتضنه حتى ينام نوما هادئا حالما، بينما تمنى الأب أن يحمل اسمه رجل صلب سوي. ولكنها أحلام تحطمت على صخرة ذلك الاختبار الصعب، بينما الابن يبحث عمّن يفهمه ولا ينطق طوال العرض سوى بجملة واحدة هي "هنروح فين يا بابا؟".

> «سالب واحد» مسرحية تناقش قضايا ذوي الاحتياجات الخاصة ومعاناتهم في المجتمع وما يتعرضون له من تنمر

ويذكر أن مسرحية "سالب واحد" قُدمت للمرة الأولى بمهرجان المسرح العربي "زكي طليمات" وحصدت جائزة أفضل عرض مسرحي بالمهرجان والعديد من الجوائز الأخرى.

وقال مدير مهرجان الحرية المسرحي المخرج محمد مرسي إن الدورة السابعة تُقام بمشاركة عرضين من خارج الإسكندرية أحدهما هو "سالب واحد" من المعهد العالي للفنون المسرحية بالقاهرة، والآخر من كلية الزراعة بجامعة المنصورة، بهدف إتاحة الفرصة للفرق من أنحاء الجمهورية للمشاركة في المهرجان والالتحاق بالتسابق مع الفرق السكندرية لزيادة روح التنافس بين المبدعين.

ألم الاختلاف في مجتمع قاس